أمة لن تموت

مبشرات فى زمن الإنكسار

الدكتور
راغب السرجانى

الطبعة الأولى للناشر
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م
رقم الإيداع: ٢٠٠٣/٨١٠٥
الترقيم الدولى : I.S.P.N
977-265-442-3



دار التـوزيع والنشر الإسلامية

مصـــر - القاهـــرة - السيدة زينب ص.ب ١٦٣٦
٢٥١ ش بورسـعيـد ت: ٢٩٠٠٥٧٢ - فـاكس : ٢٩٣١٤٧٥
مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٢٩١١٩٦١

www.eldaawa.com
email:info@eldaawa.com

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فإن الناظر إلى بلاد المسلمين يجد أن كثيراً من أبناء المسلمين قد أصابهم الإحباط من واقع المسلمين، ويئسوا من أن تقوم لأمة الإسلام قائمة من جديد. كثير من أبناء المسلمين يعتقدون أن

سيادة المسلمين للعالم كانت تاريخًا مضى، وأن المستقبل قد يكون للشرق أو للغرب، ولكن حتمًا - أو غالبًا - ليس للمسلمين، وأكثر هذه الطائفة تفاؤلاً يعتقد أنه لو كان الإسلام سيعود من جديد لصدارة الأمم، فإن هذا لن يكون إلا بعد عمر مديد، وأجل بعيد، لا نراه نحن ولا أبناؤنا، ولا حتى أحفادنا.

في هذا الجو من الإحباط واليأس، يستحيل على المسلمين أن يفكروا في قضية فلسطين أو الشيشان أو كشمير أو العراق أو أفغانستان أوغيرها، فضلاً عن أن يسهموا في حلها، ومن ثم فإن حديثنا في هذا الكتاب سيتناول وسيلة

هامة من وسائل بناء هذه الأمة، ألا وهى زرع الأمل فى نفوس المسلمين ، ومحو الإحباط الذى سيطر على طوائف شتى من الأمة الإسلامية، وبالذات الشباب منهم..

وقد قسمت الكتاب إلى بابين رئيسيين. أما الباب الأول فهو بعنوان: «لماذا أُحبط المسلمون؟»،وأتحدث فيه عن الأسباب التى أدت إلى إحباط المسلمين. وأما الباب الثانى فهو بعنوان: «أمة لن تموت» وأتحدث فيه عن عشر حقائق هامة، تشير جميعها إلى أن هذه الأمة فعلاً لن تموت!

والكتاب فى مجموعه دعوة للأمل..

الأمل فى قيام جديد .. الأمل فى سيادة وتمكين.. الأمل فى نصر وصدارة ..

الأمل فى أن تستعيد هذه الأمة مكانتها الطبيعية بين الأمم.. تلك المكانة التى أرادها الله لها، وما ذلك على الله بعزيز..

وأسأل الله أن يجعل هذا العمل فى ميزان حسناتى وحسناتكم أجمعين...

والآن مع صفحات الكتاب..

الباب الأول

لماذا أُحبط المسلمون؟



لماذا أُحبط المسلمون؟

إنه من العجب حقًا أن تحبط أمة تملك كتابًا مثل القرآن، وحديثًا مثل حديث رسول الله ﷺ.. وإنه لمن العجب حقًا أن ييأس شعب له تاريخ مثل تاريخ المسلمين، وله رجال أمثال رجال المسلمين.. وإنه لمن العجب حقًا أن يقنط قوم يملكون مقدرات كمقدرات المسلمين، وكنوزًا مثل كنوز المسلمين. عجيب حقًا أن تقنط هذه الأمة وقد قال ربها في كتابه: ﴿**وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ**﴾ [الحجر: ٥٦].. لكنها حقيقة مشاهدة، وواقع لا ينكر. والواقع

أن غـــيــاب الأمل، وضـيــاع الحلم، وانحطاط الهـدف، كـارثة مـروعـة حلت على المسلمين، ومصيبة مهولة لا يرجى فى وجودها نجاة. لابد أن الذى زرع اليـأس فى قلوب بعض المسلمين أمـر تعـاظم فى النفـوس الواهنة، وحـدث أكـبـرته القلوب الضعيفة، فخضعت خضوعًا مذلاً حين كان يرجى لها الانتفاض، وركعت ركوعًا مخزيًا حين كان يرجى لها القيام.

لابد أن نقف وقـفـات ووقـفـات، لنحلل وندرس ونفقه:

لماذا صرنا إلى ما صرنا إليه؟!! وكيف السبيل لقيام وسيادة وصدارة ومجد؟

أما لماذا صرنا إلى هذا الوضع فهذا يرجع إلى عوامل عديدة، وتراكمات مختلفة، نستطيع أن نقسمها إلى قسمين كبيرين: القسم الأول هو واقع صنعه المسلمون بأيديهم لما فرطوا فى دين الله ، وابتعدوا عن منهج الله، واستهانوا - وأحياناً تحالفوا!! - بأعداء الله. أما القسم الثانى فهو مؤامرة بشعة، نسجت خيوطها على مدار أعوام طويلة، وتعاون على التخطيط لها طوائف مختلفة من أعداء الأمة.

أولاً : الواقع الذى يعيشه المسلمون:

١- الواقع الذى يعيشه المسلمون من هزائم متكررة بدءاً من سقوط الخلافة العثمانية، ومن سقوط فلسطين وإعلان إسرائيل فى ١٩٤٨، ومن

هزيمة مـرة فى ١٩٥٦ – لولا الرئيس الأمـريكى إيزنهـاور الذى جعل المسلمين يصورون الحدث وكأنه نصر، بل ويُحتفل به بعد ذلك!– ومرورًا بنكسة ١٩٦٧ وتدمير الجيشين المصرى والسورى وضرب كل المطارات – حتى المطارات الداخلية جداً مثل المنيا والأقصر والغردقة وأبو صوير – فى هزيمة كبيرة منكرة. حتى نصر أكتوبر ١٩٧٣ – والذى كان نصراً مجيداً حقًا – أتبع بثغرة مرة، وبوقف لإطلاق النار، وبخسارة سريعة لمكاسب هائلة.

٢– الواقع الذى يعيشه المسلمون من خيانات مستمرة في أطراف كثيرة متفرقة من العالم

الإسلامى، أدت إلى ضياع البلاد والعباد، وأدت إلى غياب القدوة، وفقد الثقة فى كل من يقود.

٣- الواقع الذى يعشيه المسلمون من إباحية فى وسائل الإعلام الرسمية وغير الرسمية، ومجاهرة بكل فسق ومجون وانحلال، وافتخار بكثير من الموبقات، وإهمال لمشاعر أمة كاملة عاشت قرونًا وهى تحترم كل قانون إسلامى، وكل أدب إسلامى، وكل عرف إسلامى.

٤- الواقع الذى يعيشه المسلمون من سرقات واحتيالات، ورشوة وفساد، وهروب بمليارات من أموال المسلمين، بينما يتضور بعضهم -أو كثير منهم- جوعًا.

٥- الواقع الذى يعيشه المسلمون من انهيار للاقتصاد، وديون متراكمة وإفلاسات مشهرة، وسيطرة هائلة للاقتصاد الأجنبى على معظم مقاليد الأمور فى البلاد الإسلامية، واتساع مهول للفجوة بين طائفة الأغنياء القليلة جداً وبين طائفة الفقراء -أو المعدومين - عظيمة الاتساع.

٦- الواقع الذى يعيشه المسلمون من فرقة وتناحر وتشاحن بين المسلمين ، حتى قل أن تجد قطرين متجاورين لا يتنازعان على الحدود والأفكار وأحياناً على العقائد. بل قد يمتد الصراع أحياناً - أو كثيراً- بين المتمسكين بهذا الدين من أبناء المسلمين.

هذا الواقع يورث فى نفوس بعض المسلمين - أو فى نفوس كثير من المسلمين - إحباطًا ويأسًا يشعرون معه أن القيام من جديد - إن لم يكن صعبًا - فهو من ضروب المستحيل.

ثانيًا: المؤامرة الفكرية على الإسلام:

والمؤامرة على الإسلام قديمة جداً وطويلة جداً وذات أبعاد كثيرة، وليس المجال متسعًا لشرح أبعاد المؤامرة بالكامل، ولكن ما يهمنا فى هذا المقام هو الحديث - بإيجاز - عن أحد أبعاد هذه المؤامرة وهو البعد الفكرى منها.

لقد دأبت طوائف شتى من أعداء الأمة على العمل على انحراف أفكار الأمة عن الفكر

الإسلامى الصحيح، ومن ثم تفقد الأمة المقياس السليم للحكم على الأمور. وكان أحد الأهداف الواضحة والمحددة لهذه المؤامرة هو زرع بذور اليأس فى قلوب المسلمين، وإقناعهم باستحالة النهوض من هذه الكبوة التى وقعوا فيها.

لكن بداية، من هم هؤلاء المتآمرون على الإسلام؟!

لقد اشترك فى هذه المؤامرة الكثيرون:

١- **المستشرقون**: وهم طائفة من العلماء الأوروبيين، أكل الغل قلوب معظمهم، وحرق الحقد صدور غالبيتهم، وأعمى الحسد بصائر جلهم، فجاءوا يتعلمون الإسلام ويدرسون

تاريخه ورجاله ومنهجه، لا ليهتدوا بهداه، ولكن ليطعنوا فيه، وليلبسوا على المسلمين دينهم.. انتشرت كتبهم، وعمت أفكارهم، وطغى تحليلهم، وباتوا شوكة حامية فى حلق المسلمين.

٢- **المستغربون**: لقد تبع هؤلاء المستشرقين طائفة أخرى يحلو لى أن أسميها طائفة المستغربين. وهم من أبناء المسلمين الذين فتنوا بالغرب، وتاقت نفوسهم إليه، واستغل الغرب الفرصة،ومدوا إليهم أيديهم بالسوء، وصنعوهم على أعينهم، ودسوا فى عقولهم أفكارهم، ثم أعادوهم إلى أوطانهم.. يحبطون أبناء جلدتهم، ويشككونهم فى دينهم، ويقنطونهم من القيام

إلا باتباع الغرب، حتى إن بعضهم كان يقول: إن بلادنا لن تتقدم إلا إذا نقلت ما فى لندن وباريس، بحلوه ومره، وبحسنه وسيئه، وبمعروفه ومنكره!!.. لقد ذهب أحدهم - وهو من أبناء الأزهر الحافظين للقرآن - إلى فرنسا فتعلم هناك، ثم عاد إلى بلاد المسلمين، يعلم تلامذته أن ينقدوا القرآن الكريم.. فهذه آية قوية، وهذه آية ضعيفة.. ﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا** ﴾ [الكهف: ٥]، وكان يقول لتلامذته: ليس معنى أن القرآن ذكر وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن هذا أمر حقيقى!!.. لابد من برهان مادى.. وكان يقول

لتلامذته: إن الآيات المدنية أكثر نضجًا من المكية!!، وكأن هذا من تراكم الخبرة ﴿ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٠٠] .. وكان يكتب كتبًا عن الصحابة - وبالذات في زمن الفتنة - فيطعن في كل من استطاع بلا خجل ولا مواربة، ثم إذا به يرتقي في المناصب حتى يصبح وزيرًا للتعليم!، يرى ويعلم ملايين التلاميذ.. وهكذا أصبح الشيخ الأزهري من دعاة العلمانية والإحباط، والأزهر منهم براء..

٣- **المستعمرون**: اشترك أيضًا في مؤامرة الإحباط المستعمرون الذين جثموا على صدور

الأمـة عـشـرات السنين، أذاقـوها من العـذاب ألوانًا.. فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وليبيا والجزائر وتونس والمغرب واليمن والسودان والعراق والكويت وفى كل بلاد المسلمين.

٤- **بعض الحكام**: اشـتـرك فى المؤامـرة أيضًـا بعض الحكام المسلمين الذين أقنعوا شعوبهم أنهم لا طاقة لهم اليوم بجالوت وجنوده.. ولا سبيل لحـرب الدول «الكبـرى».. وأنهـم إن لـم يكـونوا تبـعًا لهـذا فليكونوا تبـعًا لذلك.. وأن الفـجـوة بيننا وبينهم لا تعد بالسنين بل بالقرون.

٥- **السلبيون من المسلمين**: وهى طائفة كبيرة قـد تدرك الحق لكنهـا لا تعـمل له، وقـد تعـرف

المعـروف ولكنهـا لا تأمـر به، وقـد ترى المنكر ولكنها لا تنهى عنه.. إنهم ينتظرون إما حلاً من السماء، أو من غيرهم من أهل الأرض!!.. ليس لهم عـمل إلا الانتـقـاص من غـيـرهـم ، ونقـد العاملين الحاملين للواء هذا الدين.

ماذا فعلت هذه الطوائف الهمجية؟!

لقد فعلوا جرائم عدة ، فعلى سبيل المثال:

١- **جريمة تزوير التاريخ**: وهى جريمة بشعة لا يتسع المجال للخوض فى تفصيلاتها الآن.. لقد كـذبوا وزوروا، والتـقطوا الضـعـيف والموضـوع، وأعـرضـوا عن الصـحـيح والحـسن، ونقـبـوا عن المصائب - ولابد أن فى تاريخ كل أمة مصائب -

وتركوا الأمجاد والفضائل .. ركزوا على الجوانب السياسية بمشكلاتها، وأغفلوا الجوانب الأخلاقية والعلمية والمعمارية والعسكرية والاقتصادية والفكرية والأدبية وغيرها من جوانب الحضارة.. أساءوا التأويل عن عمد، وطعنوا فى الشرفاء عن قصد، فخرج التاريخ إلينا مسخًا مشوهًا، يستحى منه الكثير، ويتناساه الأكثر،واقتنع المعظم بأنه إذا كان السابقون الأولون على هذه الشاكلة، فكيف يرجى خير ممن لحق!!.. لقد كانت حقًا جريمة كبرى!!

٢- جريمة تشويه الواقع: فهم طمسوا تاريخ المسلمين المشرق، فليطمسوا واقعهم

وحاضرهم.. فليشترك المربون والإعلاميون من المستغربين فى تغييب الأمة، وزرع اليأس فى القلوب، وليساعد الإعلام الغربى فى هذه المهمة، فتسمى الأشياء بغير أسمائها، فليكن الالتزام بالإسلام مرادفًا للإرهاب!!، وليكن الحجاب مرادفًا للتزمت!!، وليكن تطبيق الشرع مرادفًا للرجعية والجمود والتخلف.. إذا أجرم مسلم فى الغرب قالوا أجرم مسلم، وكذلك إذا أجرم مسلم ملتزم بإسلامه فى بلاد المسلمين ذكروه بصفته الإسلامية.. أما إذا أجرم نصرانى فإنهم يذكرونه باسمه لا بدينه!.. كما فى حادث تفجير «أكلاهوما» المشهور فى أمريكا سنة ١٩٩٥

حيث قالوا: فعلها المسلمون، فلما تبين أن الذى فعلها نصرانى قالوا: فعلها «مكفاى» باسمه لا بديانته!!.. إذا أساء مسلم قالوا: أساء مسلم، وإذا نبغ مسلم فى علمه قالوا: نبغ مصرى أو سورى أو باكستانى، وصفوه بقوميته..وآه من تصوير الملتزمين بالإسلام فى وسائل الإعلام!!.. كم من المرات يأتون بالشيخ أو المأذون فى صورة هزلية مضحكة!!.. كم من المرات يأتون بالمسلمين فى الأفلام التى يطلقون عليها إسلامية وهم فى صورة عجيبة!!.. ينظرون نظرات حالمة، وأبصارهم معلقة بالسماء، ويبتسمون فى بلاهة، ويتحركون ببطء شديد، وكأن الإنسان إذا أسلم

لابد أن يتخلف عقليًا بهذه الصورة!!.. كم من المرات يأتون بمن التزم طريق الإسلام ينقلب من الحديث بالعامية إلى الحديث بالعربية الفصحى، وليتها الفصحى الرائعة التى أنزل الله بها القرآن، والتى تحدث بها خير البشر رسول الله ﷺ، ولكنهم يأتون بالمسلمين يتحدثون العربية فى تنطع وتقعر شديدين، والذى حوله من الناس لا يفهمون، وينظرون إليه مستنكرين.. سبحان الله!!.. مع أن اللغة العربية من أرقى - بل هى أرقى - لغات العالم أجمع.

٣- **جريمة تعظيم الغرب**: فبعد أن حطموا النماذج الإسلامية فى التاريخ والواقع رفعوا لك

جداً من قيمة الغرب، حتى لا يبقى أمامك خيار إلا الاتباع الذليل، والتقليد الأعمى.. عظموا سلاح الغرب، ومدنية الغرب، وأخلاق الغرب، وعقل الغرب، وأدب الغرب، وفن الغرب، بل وعظموا لغة الغرب.. حتى افتتن المسلمون.. وأصبح الرجل يحرص على تعليم الإنجليزية لابنه أكثر من حرصه على العربية، وحتى تدرج الأمر بنا إلى أن ابتلينا بما أطلقوا عليه مدارس إسلامية «للغات»!!!، بحجة أننا يجب أن نعلم أبناءنا لغة الغرب لندعوهم إلى الإسلام!! أتتعلمها على حساب لغتك؟ وبحجة أن الأعمال المرموقة لابد لها من لغة أجنبية جيدة.. هل على حساب لغة

القرآن؟! . . وحتى لو أتيت لابنك بمعلم للعربية في البيت، سيظل الطفل معظمًا للغته الأولى في مدرسته . . أنا لست ضد تعليم الأطفال لغة أجنبية « ثانية »، ولكن بشرط أن تكون فعلاً لغة « ثانية »!! . . لا أن ندرس للأطفال العلوم والرياضيات والجغرافيا والتاريخ باللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو أى لغة أخرى إلا العربية!! . . هل هذا منطق مقبول؟! . . معظم البلاد التى ترجو صدارة تعظم من لغتها وتقدمها على غيرها . . فى فرنسا لو خاطبت رجلاً بالإنجليزية ما رد عليك إلا متأففًا لاعتزازه بلغته . . فى ألمانيا كذلك إذا أردت أن تعيش

هناك، فلا حديث إلا بالألمانية.. بل أكثر من ذلك.. لقد ذهبت إلى المركز الثقافى الإسبانى أبحث عن بعض الصور الخاصة بتاريخ المسلمين فى الأندلس.. والله ما وجدت عندهم كتاباً واحداً بالإنجليزية فضلاً عن العربية.. لم أجد إلا كتبًا باللغة الإسبانية فقط!!!.. وعندما قلت لهم إن اللغة الإسبانية محدودة جداً فى مصر، وعليهم أن يأتوا بكتب مترجمة حتى نفهمها، قالوا: من أراد أن يعرف عنا شيئًا فليتعلم لغتنا!!.. هكذا يعتزون بلغتهم المحدودة!!..

لقد أدت جريمة تعظيم الغرب إلى فقد الطموح عند الشباب، وضعف الهمم وهوان

العزائم، فيصبح أمل الشباب المسلم فى الحياة أن يلقى بوطنه وأهله وراء ظهره، وينطلق إلى بلاد الغرب.. إلى أمريكا وأوروبا، ليعيش فى جنة الله فى أرضه كما يزعمون!!..

وهكذا نتيجة هذه الجرائم والمؤامرات وغيرها أحبط كثير من المسلمين إحباطًا شديداً، وخضعوا للواقع، وقنعوا بالسير فى ذيل الحضارة الغربية، ولا حول ولا قوة إلا بالله..

الباب الثانى

أمـة لـن تمـوت



أمة لن تموت

ومع كآبة الواقع، وضخامة المؤامرة، وبشاعة الكيد، فإنى أعود من جديد وأتعجب.. كيف يمكن أن تحبط أمة تمسك فى يديها بكتاب القرآن، وبحديث رسول الله ﷺ؟!

لقد حفل القرآن العظيم والحديث الشريف بالعشرات - بل المئات - من الحقائق المبشرة التى تؤكد حتمية عودة هذه الأمة لصدارة العالمين.. هذا أمر لا ينكره من يدرك طبيعة هذا الدين، وطبيعة هذه الأمة.. كل ما نرجوه أن يعود المسلمون لدينهم، وأن يأخذوه من مصادره

الصحيحة لا من مصادر المستشرقين أو المستغربين.. وأن يستمتعوا وينصتوا لكلام ربهم ونبيهم، ولكلام من يثقون بدينهم ويعرفون إسلامهم وأخلاقهم لا لدعاة العلمانية والتحرر من قيود الدين كما يدعون!!

ولقد اخترت لكم عشر حقائق فقط من الحقائق المبشرة، ومن أراد الزيادة فليعد إلى الكتاب والسنة، فإن عجائبهما لا تنتهي، وكنوزهما لا تنقطع!.. ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [النمل: ٨٨].

الحقيقة الأولى

سنة المداولة

إن هؤلاء الذين قنطوا لم يدركوا طبيعة سنن
لله فى الأرض، فالله سبحانه وتعالى شاء أن
جعل الأيام دولاً بين الناس. قال تعالى: ﴿ **إن
يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام
نداولها بين الناس** ﴾ [آل عمران: ١٤٠].. فكما
عانى أمة المسلمين من القرح اليوم، فقد كان
هناك أيام عانى فيها الآخرون من القرح، بينما
كانت أمة المسلمين فى سلامة وعافية. كل الأمم

تسود فترة وتتبع غيرها فترات.. كل الأمم تقود زمنًا وتنقاد لغيرها أزمانًا.. بل إن كل الأمم تعيش مـرة وتموت وتندثر وتختـفى مـرات، إلا أمـة واحدة، قد تنقاد لغيرها فترة من الفترات، وقد تتبع غيرها زمانًا من الأزمان، لكنها لا تموت أبدًا.. تلك هى أمة الإسلام!!

أين حضارة الرومان؟!

لم يبق منها إلا أطلال وأبنية.

أين حضارة الإغريق؟!

لم يبق منها إلا فلسفة فارغة، ومعابد وثنية.

أين حضارة الفرس؟!

ماتت ولم تترك ميراثًا..

أين حضارة الفراعنة؟!

بقيت منها جمادات وديار كديار عاد وثمود، وبقيت جثث محنطة وأوراق بالية، لكن أين الفراعنة؟ إما فى بطون القبور، أو فى جوف البحر، حيث ينتظر جنود فرعون الساعة!!

أين التتار وجيوشهم؟!

لم يبق لهم أثر واحد..

أين إنجلترا الإمبراطورية التى لا تغرب عنها الشمس؟!

إنها تابع ذليل..

أين الإمبراطورية الروسية القيصرية ثم الشيوعية؟!

سقطت سقوطًا مروعًا..

وسيأخذ غيرهم دورات ودورات ثم يسقطون، وسيعلو نجمهم فترة ثم يهبطون **﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾** [الدخان: ٢٩]...

ومن ثم فلا عجب أن ترى أمة ظالمة قد ارتفعت وتكبرت وتجبرت.. إنها في دورة ارتفاع، ولكنها حتماً لن تخرج عن سنة الله في أرضه وخلقه.. إن مصيرها إلى زوال.. حتماً إلى زوال.. فلن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً..

الحقيقة الثانية

أمة الإسلام أمة باقية

وإذا كان من سنة الله أن كل الأمم تموت وتندثر، فإن في سننه كذلك أن أمة الإسلام لها طبيعة مغايرة.. إنها ما سقطت إلا وكان لها بعد السقوط قيام، وما ضعفت إلا وكان لها بعد الضعف قوة، وما ذلت إلا وكان لها بعد الذل عزة!!.

لماذا؟! .. لأن طبيعة أمة الإسلام أنها أمة شاهدة على غيرها من الأمم.. ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ

أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] .. حتى الأمم الغابرة -قبل أمة الإسلام - نشهد عليها بما جاء فى كتابنا القرآن، والأمم المعاصرة نشهد عليها بما رأيناه بأعيننا وقومناه بمنهجنا وأحكامنا وشرعنا، وسنظل نشهد على الأمم إلى يوم القيامة، فنحن باقون ما دامت الحياة، وغيرنا لا شك مندثر وذاهب.

طبيعة هذه الأمة أنها تحمل الرسالة الخاتمة، والكلمة الأخيرة من الله إلى خلقه، وليس هناك رسول بعد رسولنا ﷺ، وليست هناك رسالة بعد الإسلام، فلابد أن يحفظ الله المسلمين لأجل أهل الأرض جميعًا.

طبيعة هذه الأمة أنها الأمة الوحيدة التى كان
من همها أن تعلم غيرها دون ثمن ولا أجر، بل
قد يدفع المعلمون المسلمون مالاً، ويبذلون جهداً
وعرقًا ووقتًا بل ونفسًا حتى يعلموا غيرهم. مَن
مِن الأمم يفعل ذلك غير أمة الإسلام؟! ألم تكن
الشعوب تغير على الشعوب لتأخذ خيرها ،
وتنهب أرضها، وتقتل أهلها، بينما كان
المسلمون يضحون بأرواحهم ليستنقذوا الناس
من جحيم الكفر والضلال إلى جنة الإيمان
والهدى؟ ألم يقل ربعى بن عامر رضى الله عنه
قولاً ما تكرر فىَ التاريخ على ألسنة المتحضرين
من الأمم، غير أمة الإسلام، يوضح فيه الرسالة

الإسلامية بإيجاز فيقول: «**لقد ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة**».. هكذا .. لانريد منكم جزاءً ولا شكوراً..

هذه هى طبيعة الأمة الإسلامية .. بقاؤها هو خير الأرض، وذهابها فناء الأرض ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران: ١١٠]..

إذا كانت هذه هى طبيعة الأمة الإسلامية: فلماذا الإحباط واليأس؟..

الحقيقة الثالثة

حقيقة المعركة

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] . . .

آية عظيمة مبهرة!!

يا إخواني وأحبابي : إن كل ما ذكرناه من جرائم ومكائد ومؤامرات وتزوير وتشويه وخيانات وعمالات ونفاق وكذب – كل هذا – يدخل تحت كلمة ﴿ وَيَمْكُرُونَ ﴾ .. لكن انظر إلى الجانب الآخر من المقابلة : ﴿ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ .

فالله عز وجل يقابل مكرهم بمكره.. ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [الزمر: ٦٧].

أيها المسلمون:

إن كان أصابكم شيء من الإحباط فلكونكم لم تفهموا المعركة على حقيقتها، ولم تدركوا الصدام بكامل أبعاده.. إنها ليست حربًا بين المسلمين والكافرين، وإن كان ظاهرها كذلك.. إنما هي في حقيقتها حرب بين الله وبين من مرق عن طريقه، وكفر بعبادته، وارتضى غيره حكمًا، وقبل غير كتابه شرعًا.. هي حرب بين الله، وبين

طرف صغير حقير من مخلوقاته سبحانه.. لكن الله من رحمته بالمؤمنين، ومن كرمه عليهم، منّ عليهم بأن جعلهم جنده وحزبه وأولياءه.. فالمؤمنون يقفون أمام الكافرين، ملتزمين بمنهج ربهم فى وقوفهم، كما أمرهم يفعلون، لا يترددون ولا يفرون، واثقين بوعده، راغبين فى جنته، راهبين لناره، مخلصين له، معتمدين عليه، لاجئين إليه.. إن فعلوا ذلك كان هو - سبحانه جلت قدرته وتعاظمت أسماؤه - كان لمدافع عنهم ، الحامى لهم، المؤيد لقوتهم، لناصر لجيشهم، الناشر لفكرتهم، المنتقم من عدوهم.. واسمعوا وأنصتوا أيها المسلمون لقوله سبحانه وتعالى حتى تفهموا حقيقة المعركة:

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] .

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ [الطارق : ١٥، ١٦] .

﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ۝٥٠ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النمل : ٥٠، ٥١] .

أيها المسلمون المعتزون بإسلامكم :

هل تعلمون لمن تعملون؟! وإلى أى ركن تأوون؟!

إنكم تعملون لله وتأوون إلى ركن شديد..

- سبحانه !!..

هل إذا جلس المتآمرون في جنح الظلام يدبرون ويخططون، أهم بعيدون عن عينه سبحانه؟ ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ١٦].

هذا إذا أطلق المتآمرون صاروخًا أو رصاصة، أتسقط بغير علمه سبحانه؟!.. إذ يعلم بسقوط أوراق الشجر عبر الزمان والمكان، فكيف بسقوط الصواريخ؟!.. اقرأ هذه الآيات وتدبرها بعناية:

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِى
ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ
(٥٩) وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم
بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ
مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠) وَهُوَ الْقَاهِرُ
فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ
الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ (٦١) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى
اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ
(٦٢) قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ
تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ

(٦٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ (٦٤) قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥) وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (٦٦) لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٩ – ٦٧].

الحقيقة الرابعة

حقيقة البشرى فى الكتاب والسُنّة

أيها المسلمون المعتزون بربكم:

هذا الإله العظيم الجليل الكبير، هذا الإله الرحيم الكريم الودود، يبشركم فى كتابه.. يقول صاحب العزة والجبروت: ﴿**وكان حقًا علينا نصر المؤمنين**﴾ .. هكذا بهذه الصياغة العجيبة المعجزة !! والله لو لم تنزل من آيات البشرى غيرها لكفت!!.. هذا الإله القادر المقتدر يتعهد بنصر المؤمنين، ويجعله حقًا عليه سبحانه ..

ليس هذا نصراً فى الآخرة فقط بدخوله الجنة، ولكنه نصر فى الدنيا كذلك.. قال سبحانه: ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ** ﴾ [غافر: ٥١].. هكذا الوعد: نصر فى الدارين، فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.. إن كان هناك مؤمنون، فلابد لهم من نصر، هكذا وعد، وهو سبحانه لا يخلف الميعاد.. استمعوا إلى قوله تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ**

الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:٥٥] .. فإذا توفر الإيمان والعمل الصالح والعبادة الخالصة دون الشرك به سبحانه، كان الاستخلاف في الأرض، وكان التمكين للدين، وكان الأمن بعد الخوف.. من الذى وعد بذلك؟ إنه جبار السماوات والأرض، مالك الملك ذو الجلال والإكرام..

أيها المسلمون:

انظروا إلى هذه الصورة الرائعة الجليلة فى غزوة بنى النضير يقول سبحانه وتعالى: ﴿**هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا**﴾ ..(أنتم أيها

المؤمنون المقاتلون المجاهدون لما رأيتم مناعة الحصون وبأسها ظننتم أن اليهود لن يهزموا) ﴿وَظَنُّوا﴾ (أى اليهود) ﴿أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ (ماذا حدث؟) ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (ثم ما هو التعليق على الحدث؟) ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ١] .. الغاية من القصة أن نعتبر.. القرآن ليس تأريخًا لما سبق لمجرد التأريخ .. القرآن كتاب عظيم، ينبض بالحياة، ويهدى إلى صراط مستقيم..

أيها المسلمون المعتزون برسولكم ﷺ :

ألم تسمعوا إلى قول رسولكم وحبيبكم محمد ﷺ وهو يقول فى الحديث الذى رواه الإمام مسلم رحمه الله عن ثوبان رضى الله عنه : **«إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ، ومغاربها ، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها »**.. نعم يا إخوانى، سيبلغ ملك المسلمين مشارق الأرض ومغاربها، بكل ما تحمله الكلمة من معان..

ألم تسمعوا إلى قول مرشدكم وقدوتكم محمد ﷺ وهو يقول فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد والطبرانى وابن حبان وصححه الألبانى عن تميم الدارى رضى الله عنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلغن هذا الأمر** (يعنى الإسلام) **ما بلغ الليل والنهار** (أى كل الأرض) **ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين** (المدر هو الحجر أى بيوت المدن، والوبر هو الشعر أى بيوت البادية أى كل بيوت الأرض: بيوت المدن وبيوت البادية سيدخلها الإسلام) **بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر**».. وعد من الصادق المصدوق ﷺ.. ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ** ③ **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ [النجم: ٣، ٤].

بل اسمع وتأمل إلى ما رواه الإمام أحمد وصححه الألبانى عن أبى قبيل رحمه الله قال:

«كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما وسئل: أى المدينتين تفتح أولاً القسطيطينية أو رومية؟ فدعا بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابًا، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ: أى المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فقال: **مدينة هرقل** (أى القسطنطينية) **تفتح أولاً**» .. والقسطنطينية هى عاصمة الدولة الرومانية الشرقية آنذاك وهى استنابول الآن، ورومية هى روما، وكانت عاصمة الدولة الرومانية الغربية، وكانتا معاقل النصرانية فى العالم، ويفهم من الحديث أن الصحابة كانوا يعلمون

منه ﷺ أن هاتين المدينتين ستفتحان، لكن يسألون أى المدينتين تفتح أولاً، فبشر رسول الله ﷺ بفتح القسطنطينية أولاً، وقد كان، وتحققت البشارة النبوية بعد أكثر من ثمانمائة سنة!!. وبالضبط فى ٢٠ جمادى الأولى سنة ٨٥٧ هجرية، على يد الفتى العثمانى المجاهد محمد الفاتح رحمه الله، وستحدث البشارة الثانية لا محالة، وسيدخل الإسلام روما عاصمة إيطاليا إن شاء الله تعالى. ولى على هذا الحديث تعليقان:

التعليق الأول: هو أن بعض العلماء يعتقدون أن فتح رومية (أو روما) سيكون بالدعوة إلى الإسلام وبإنشاء المراكز الإسلامية والمساجد فقط،

ويستبعدون الفتح عن طريق الجهاد، والحق أن الحديث لم يشر إلى ذلك، بل أرى أن قصر تفسير فتح رومية على الدعوة دون الجهاد هو نوع من الهزيمة النفسية، فالذى يقول ذلك لا يتخيل أنه بالإمكان أن يحرك المسلمون جيشًا لإيطاليا، فلتكن الدعوة إذن هى التفسير للحديث!..

لكن على العكس من ذلك.. فإن سياق الحديث يوحى بأن الفتح سيكون جهاداً.. وسياق الواقع كذلك، فقد فتحت القسطنطينية بعد حلقات متتالية من الجهاد المضنى المستمر، وقد تفتح رومية بطريق متشابهة، ولذلك جمعت مع القسطنطينية فى حديث واحد، ولتعلمن نبأه بعد حين!!..

التعليق الثاني: هو أن محمد الفاتح رحمه الله كان يعد العدة، ويجهز الجيوش لفتح رومية، وذلك لاستكمال تحقيق البشارة النبوية، لكنه لم يوفق لذلك، والحق قد تعجبون من قولى هذا: إننى قد سعدت بل وحمدت الله على أنه لم يتم له فتح رومية!! .. لماذا؟! ذلك حتى تبقى بشارة رسول الله ﷺ تبعث الأمل فى نفوسنا، وحتى يبقى لنا شيء نفتحه، وإلا فأين دورنا؟! أليس لنا من دور غير التصفيق لأجدادنا الفاتحين؟! .. أبداً.. نحن إن شاء الله على دربك يا رسول الله ﷺ سائرون، ولما بقى منك يا محمد الفاتح - إن شاء الله - فاتحون.

الحقيقة الخامسة

حقيقة التاريخ

ليس وعد رسول الله ﷺ بمدينتين فقط: القسطنطينية وروميه، فقد وعد كما ذكرنا بفتح الأرض جميعًا، ووعد ربنا بنصر المؤمنين، ولقد رأينا ذلك كثيراً فى صفحات تاريخنا، لا أقول أيامًا أو شهوراً أو سنوات، بل رأيناه قرونًا عديدة.

لقد كان المسلمون ينتصرون دائمًا وهم أقل عدداً وعدة:

● انتصر المسلمون على عدوهم فى بدر، مع فارق العدد والعدة، انظروا إلى وصفه سبحانه: ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

● انتصر المسلمون فى موقعة اليمامة باثنى عشر ألفًا من المجاهدين على أربعين ألفًا (على الأقل) من المرتدين.

● فتح خالد بن الوليد - رضى الله عنه - العراق بثمانية عشر ألفًا من الرجال الأبطال، فدك حصون الفرس فى خمس عشرة موقعة متتالية دون هزيمة، وكان أقل جيوش الفرس تبلغ ستين

ألفًا، ووصلت إلى مائة وعشرين ألفًا فى موقعة الفراض.

● انتصر المسلمون المجاهدون فى موقعة القادسية باثنين وثلاثين ألفًا من الرجال الأفذاذ على مائتين وأربعين ألفًا من الفرس، وكانت موقعة فاصلة كسرت فيها شوكة الفرس، وقتل فيها معظم قادة الجيش الفارسى.

● انتصر المسلمون المؤمنون فى موقعة نهاوند بثلاثين ألفًا على مائة وخمسين ألفًا من الفرس.

● انتصر المسلمون الصابرون فى حصار تستر بثلاثين ألفًا على مائة وخمسين ألفًا من الفرس، وقد تكرر القتال أثناء ذلك الحصار ثمانين مرة،

وانتصر فيها المسلمون جميعًا دون هزيمة واحدة!!..

● انتصر المسلمون فى اليرموك بتسعة وثلاثين ألفًا على مائتى ألف من الرومان.

● انتصر المسلمون فى معركة وادى برباط فى فتح الأندلس باثنى عشر ألف رجل على مائة ألف قوطى إسبانى.

لقد رأينا ذلك وأمثاله مئات - بل آلافًا - من المرات.. وما هذا الذى ذكرته إلا مقتطفات يسيرة من سفر الإسلام الضخم!!.. اقرأوا التاريخ يا إخوانى.. فوالله الذى لا إله إلا هو، لا يوجد تاريخ فى الأرض مثل تاريخ المسلمين، ولا يوجد

دين مثل دين المسلمين، ولا يوجد رجال مثل رجال المسلمين.

وحتى السقطات التى كانت فى تاريخ المسلمين اتبعت بقيام أقوى وأشد، وتعالوا نقلب صفحات قلائل:

● بعد وفاة الرسول ﷺ ارتدت الجزيرة العربية بكاملها إلا ثلاث مدن وقرية: المدينة ومكة والطائف وقرية هجر بالبحرين، ولم تكن الردة - كما يعتقد البعض - بمنع الزكاة فقط، بل ارتد كثير عن الإسلام بالكلية، ومنهم من فتن المسلمين فى دينهم، ومنهم من قتل المسلمين، بل إن منهم من ادعى النبوة، وليسوا بالقليلين،

وعمّ الكفر جزيرة العرب ويئس بعض الصحابة !!
فكان الموقف أشد مما نحن فيه الآن ألف مرة، حتى قال بعضهم: يا خليفة رسول الله لا طاقة لنا بحرب العرب جميعًا، الزم بيتك وأغلق عليك بابك واعبد ربك حتى يأتيك اليقين، وهكذا ظنوا أنه لا أمل فى القيام، لكن الله عز وجل منّ على المسلمين بأبى بكر الصديق رضى الله عنه، الذى قام كالأسد الهصور، يردد قولة لو قالها المسلمون لسادوا الدنيا جميعًا.. قال: « أينقص الدين وأنا حى؟» كلمة عظيمة جداً.. « أينقص الدين وأنا حى؟ .. أقاتلهم وحدى حتى تنفرد سالفتى » (حتى تقطع رقبتى).. وقام الصديق

رضى الله عنه وقام معه المسلمون، فما هو إلا عام من الجهاد والقتال والنزال، حتى أشرقت الأرض من جديد بنور ربها، وأسلمت الجزيرة العربية بكاملها، بل أخذ أبو بكر الصديق قراراً أحسب أنه أعجب قرار فى التاريخ !! وهو إخراج جيشين من جزيرة العرب: جيش لفتح بلاد فارس، وجيش لفتح بلاد الروم!!.. عجباً لك أيها الجبل!!.. دولة صغيرة خارجة من حرب أهلية مدمرة تواجه دولتين تقتسمان العالم.. فارس والروم!! لكنه موعود .. ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الروم: ٤٧]، ويفتح الله عليه الدولتين، وتكون النتيجة انتصارات بلا هزائم، وتمكيناً بلا ضعف، وأمناً بلا خوف!!..

● أسمعتم يا إخوانى عن ملوك الطوائف فى بلاد الأندلس؟ أرأيتم كيف قسمت بلاد الأندلس فى عهدهم إلى أكثر من عشرين دويلة صغيرة متناحرة؟!، أرأيتم العمالة والخيانة والخزى والعار؟! أرأيتم السفه والمجون والخلاعة والانحلال؟ ثم أرأيتم ما شابه ذلك فى بلاد المغرب والجزائر والسنغال وموريتانيا فى قبائل البربر آنذاك؟ أرأيتم الزنا كيف فشا؟! والخمور كيف انتشرت؟ أرأيتم السلب والنهب كيف طغى على الأرض؟ ثم ماذا حدث؟ لقد تغير الوضع تمامًا فى سنوات معدودات فيما يشبه المعجزة!! كيف؟! لقد جاء رجل!! رجل واحد!!

هو الشيخ عبد الله بن يس رحمه الله، جاء يدعو
إلى الله على بصيرة، جاء يربى ويعلم ويجاهد
ويصابر، فإذا الرجل أصبح رجلين، والرجلان
أربعة، والأربعة ألفا وألفين وعشرة آلاف، وإذا
البلاد تفتح، والإسلام ينتشر ، وإذا بدولة
المرابطين تقوم، وإذا برجال وكأنهم ملائكة..
يوسف بن تاشفين وأبو بكر بن عمر رحمهما الله
يعلمان ويربيان ويجاهدان ويصابران، فإذا
بالدولة تتسع، والخير يعم، ويدخل فى الإسلام
ثلث أفريقيا!!.. ويصبح الجيش مائة ألف فارس
فى الشمال، وخمسمائة ألف جندى فى
الجنوب، وإذا بالجيوش تعبر إلى الأندلس، فتعيد

البسمة إلى شفاه المسلمين، وتشفى صدور قوم مؤمنين، وتذهب غيظ قلوبهم، وتذل الشرك وأهله، وتعز الإسلام وحزبه، وينصرها الله فى موقعة «الزلاقة» بثلاثين ألفًا من الأبطال يهلكون ستين ألفًا من القوط الإسبان!.. أرأيتم كيف تكون طاقة الإسلام؟ أرأيتم كيف يكون رجال الإسلام؟ أرأيتم كيف يكون شرع الإسلام؟

● ولماذا نذهب بعيداً؟ هل آتاكم نبأ فلسطين؟! لماذا الجزء من احتلال دام خمسين سنة؟ ألم تسمعوا عن حملات الصليبيين التسعة البشعة؟ ألم تعلموا أنهم مكثوا فى أرض فلسطين محتلين مائتين من السنين؟ وفى بيت

المقدس اثنتين وتسعين سنة؟ ألم تقرأوا أنهم قتلوا في بيت المقدس سبعين ألفًا من المسلمين في يوم واحد؟! وكانوا يسيرون في دماء المسلمين إلى ركبهم؟

ثم ألم تر كيف فعل ربك بالصليبيين؟!.. دارت دورتهم في التاريخ، وانتهت دولتهم البشعة القذرة، وقام رجال متوضئون متطهرون، قارئون لكتابهم، خاشعون في صلاتهم، حاملون لسيوفهم، معتمدون على ربهم يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، قام رجال أمثال عماد الدين زنكي ونور الدين محمود الشهيد، وصلاح الدين الأيوبي رحمهم الله

جميعًا.. قاموا يحرصون على الموت فوهبت لهم الحياة، قاموا يتزينون للجنة فتزينت الجنة لهم، قاموا مع الله فكان الله معهم، صدقهم الله وعده ونصر عباده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا هو سبحانه، فكانت حطين، وكان ما بعد حطين، وكانت أيام تشرف التاريخ بتدوينها... وحق للتاريخ أن يتشرف بتسجيل أيام المسلمين..

الحقيقة السادسة

حقيقة الواقع

ولماذا نقلب فى التاريخ فقط؟ أليس فى واقعنا ما يشهد لوعد ربنا بالتحقيق؟!

نعم والله رأينا وسمعنا، ونحن على ذلك من الشاهدين، واعقدوا معى مقارنة بين واقعنا الآن وواقعنا منذ أربعين سنة، وهى ليست فى عمر الأمم بشىء..

● انظروا إلى الصلاة فى المساجد.. أرأيتم زوار المساجد وعمارها؟ من هم؟ وكيف

أعـدادهـم؟ كنا فى القـديم لا نشـاهد إلا أرباب المعاشات، وقليل ما هم، أما الآن فالمساجد أكثر من أن تحـصى، وعـمـارها كـذلك، وكلهـم من الشباب والأطفال، ألا ينبىء ذلك بمستقبل لهذا الدين؟

● انظروا إلى الحج والعـمـرة.. مـلايين من المسلمين فى كل عام، من كل حدب وصوب.. أعلمتم أنه أصبح من المستحيل أن تجد الكعبة خالية من الزوار والطواف؟ أرأيتم اشتياق الرجال والنساء والشيوخ والشباب إلى الحج والعمرة؟

● انظروا إلى الحـجـاب وانتـشـاره .. فى الستينيات.. لم يكن فى الجامعة المصرية – على

سبيل المثال – إلا فتاة محجبة واحدة فقط على مستوى الجامعة، ثم دارت الأيام، فإذا دخلتم الجامعة الآن، ونظرتم إلى النصف المملوء من الكوب بروح التفاؤل، وجدتم آلافًا من الفتيات مسلمات مؤمنات قانتات تائبات، أما إذا نظرتم إلى نصف الكوب الفارغ فسيدخل فى روعكم ما نحن بصدد دفعه.

● انظروا إلى الانتخابات فى النقابات والاتحادات وغيرها.. ألم تلمسوا تعاطفًا وحبًا مع مَن رفع الإسلام شعارًا، واتخذه منهجًا وإمامًا؟ ألم تشاهدوا بأعينكم كيف يختار المسلمون

المسلمين دون أن يعرفوا أشخاصهم، لا لشيء إلا لأنهم فقط يعتزون بإسلامهم؟

● انظروا إلى معارض الكتاب.. ألم تلحظوا أن أكثر الكتب مبيعًا هي الكتب الإسلامية؟ وأن أشد الأجنحة زحامًا هي الأجنحة الإسلامية؟ وأن أكثر الدور إنتاجًا هي الدور الإسلامية؟

● بل أرأيتم كيف إن كل الفئات على اختلاف توجهاتها تحاول الآن أن تلعب بورقة الإسلام، حتى وإن كانوا لا يرغبون فيه، وذلك لعلمهم بأن هوى الناس وميلهم أصبح للشرع والإسلام:

● رأينا أحزابًا علمانية تعلن فى برامجها أطروحات إسلامية!!..

● رأينا بنوكًا ربوية تفتح فروعًا للمعاملات الإسلامية!!..

● رأينا محلات لتصفيف الشعر للنساء تفتح أقسامًا للمحجبات!!..

● رأينا برامج تلفزيونية ما كانت تحادث إلا فنانين وفنانات وراقصين وراقصات، بدأت تروج لبرامجها باستضافة علماء المسلمين.

رأينا كل ذلك وغيره، وسوف تحمل الأيام المزيد، ثم تعال يا أخى ندقق النظر، ونوسع المدارك، ونخرج للساحة العالمية:

● ألم تسمع إلى نصر الأفغان على الروس ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٤ – ٦].. إياك إياك أن تظن أن الروس هزموا لجبال أفغانستان الوعرة، بل هزموا لأن الله هزمهم، وردوا لأن الله ردهم، وذلك لما رأى من أهلها رجالاً أمثال الجبال أو أقوى من الجبال..

● ألم تشاهدوا جنود إسرائيل يرقصون طرباً، ويهللون فرحًا، لأنهم فروا كالجرذان، وهربوا كالقطيع، بمقاومة شعبية قادها حزب الله، في بلد

فقير كلبنان، خرج من حروب أهلية إلى أزمات اقتصادية..

● ألم تشاهدوا كيف احتلت جمهوريات إسلامية بقيصرية روسية، ثم بشيوعية بلشفية، ما يزيد على ثلاثمائة عام.. قهر وتعذيب وتشريد وتذبيح.. حمل المصحف كان جريمة يعاقب عليها القانون، الإيمان بالله ينكرونه، والإيمان برسوله يحاربونه.. ثم تمر السنوات، ويولى الليل، وتشرق الشمس، فإذا بشعوب مازالت مسلمة، وبقلوب مازالت مؤمنة، وبأيد مازالت متوضئة، وبرؤوس مازالت ساجدة.. فعل من هذا فعله؟! إنه فعل الله الذى وعد.. وكان حقا علينا نصر المؤمنين..

ثم تعال معى يا أخى أبعد من ذلك:

● انظر إلى أمريكا كيف كان بها بضعة آلاف مسلم فقط فى الستينيات، فإذا بهم الآن ثمانية ملايين!!.. لقد رأيت شقة فى مدينة أمريكية كانت تستخدم مسجداً فى السبعينيات.. وكانت هذه الشقة هى المسجد الوحيد بالمدينة.. فإذا بالأيام تمر، وفى ذات المدينة رأيت عشرة مساجد!!.

● انظروا إلى الجاليات الإسلامية فى الغرب.. أسمعتم عن مدارسها، عن مساجدها، عن مراكزها، عن جرائدها، عن مؤتمراتها، عن شركاتها؟

• أعلمت يا أخى أن دين الإسلام هو أسرع الأديان نمواً فى العالم الآن؟

• أعلمت أن موقعًا إسلاميًا على الإنترنت يدخله يوميا مليونان من الزائرين؟! منهم مليون فى أمريكا وحدها؟!

أليس هذا - يا أحبابى - فتحًا ونصرًا وعزًا وأملاً؟

الحقيقة السابعة

حقيقة الأعداء

يا إخوانى ويا أحبابى:

من تقاتلون؟ وأى الأقوام تحاربون؟

أليسوا اليهود ومن عاونهم؟!

أليسوا الذين قال عنهم ربنا: ﴿ **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا** ﴾ [آل عمران: ١١٢]؟

أليسوا الذين قال عنهم ربنا: ﴿ **لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ** ﴾ [الحشر: ١٤]؟

أليسوا الذين قال عنهم ربنا: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [البقرة: ٩٦]؟

هؤلاء هم اليهود!!..

﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٣ - ١٥].

إن كان اليهود أو كانت الأرض جميعًا معهم:

- أتخشون كثرتهم وأحزابهم وتجمعهم؟ ألم

يخاطبهم الله وأمثالهم بقوله: ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩]؟

- أتخشون عدتهم؟ ألم يقل ربنا: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢]؟

- أتخشون أموالهم؟ ألم يقل ربنا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]؟

- أتخشون عقولهم وجوارحم؟ ألم يصفهم

ربنا بقوله: ﴿ **لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٧٩]؟

ثم هل تظنون أيها المسلمون أن حياة هؤلاء نصر بلا هزيمة، عز بلا ذل؟

● شاهدنا أمريكا المتكبرة تخرج مهرولة ومولولة من فيتنام التى لا ترى على الخريطة بتسعة وخمسين ألف قتيل!!.. وشاهدناها مرة أخرى ومرة ثالثة تخرج بنفس الهرولة والولولة من الصومال ولبنان!!

• شاهدنا مفاعل « تشرنوبل » الروسى المحكم ينفجر ويلوث آلاف الأفدنة..

• شاهدنا صاروخ « تشالنجر » أو المتحدى الذى قالوا عنه: إنهم بلغوا فيه حد الكمال **﴿ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾** [النمل: ٦٣] و**﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ﴾** [يونس: ٢٤].. لقد انفجر الصاروخ الكامل بعد ثوان معدودات من إطلاقه، وأمام أعينهم ليزيد من حسرتهم!!..

ثم ألم تشاهدوا قدرة الله عليهم، وهم يقفون أمامها مكتوفى الأيدى تمامًا:

● شاهدنا فيضانًا يغرق مدينة في ساعتين!! .. حدث ذلك في مدينة «نيو أورليانز» في أمريكا في مايو سنة ١٩٩٥ .. ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر : ١١، ١٢] ..

● شاهدنا عاصفة ثلجية تدفن السيارات تمامًا، وتغلق الشوارع، وتوقف الحياة ثلاثة أيام متصلة في «نيويورك» المدينة العصرية الحديثة!! ..

● شاهدنا إعصارًا يحمل سيارات النقل الضخمة ويقذف بها فوق المنازل!! ..

● شاهدنا ريحًا صرصرًا فى يوم نحس مستمر، تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر، تقتلع الشجر فى الغابات، وتمحو الحياة فى لحظات، شاهدنا ذلك، ولكن يا للحسرة لم نشاهد هناك مدكرًا!!..

وهل رأيتم هذا المجتمع من داخله؟!

لقد شاهدنا مجتمعًا مهلهلاً مفككًا منحطًا، يعيش على الرذيلة، ولا يهتم بالفضيحة.. أهواؤه تسيره، ورغباته تحركه، وشهواته تسيطر عليه وتدمره..

انظروا معى إلى هذه الأرقام تصف حال المراهقين الأمريكان الذين لم يبلغوا بعد ثمانية

عشر عامًا من العمر، والذين سيحكمون بلدهم بعد عشر سنوات:

● ٥٥٪ من هؤلاء الشباب ارتكبوا جريمة الزنا، وترتفع النسبة إلى ٨٠٪ فى المدن الكبرى، وتنخفض إلى ٣٣٪ فى المناطق الريفية.. أى أن أشرف مناطق أمريكا يرتكب فيها الزنا بنسبة ٣٣٪!!.. هذا تحت الثامنة عشرة من العمر، فإذا صعدنا فوق ذلك قاربت النسبة ٩٠٪!!..

● ثلاثمائة وخمسون ألف حالة حمل بدون زواج كل عام فى البنات الأصغر من ١٨ سنة، وهذا عدد أقل بكثير من الحقيقى، وذلك لكثرة الإجهاض!!

● ٢٤٪ من العائلات الأمريكية ليس فيها أب، إما لأن الأم لا تعرف الأب لأنها ارتكبت الزنا مع أكثر من رجل، وإما بسبب الطلاق!!..

● ٤٠٪ من الشباب المراهق يجربون المخدرات!!.. أما الخمور فحدث ولا حرج فالرقم أكبر من أن يحصى..

● الجرائم زادت فى مدينة دالاس الأمريكية بنسبة ٧٠٪ فى عام واحد!! (من سنة ١٩٩٨ إلى سنة ١٩٩٩).

● السبب الثالث للوفاة فى المراهقين هو الانتحار! أى أن الانتحار هو السبب الثالث فى الوفاة فى المراهقين الذين سيحكمون أمريكا بعد

ذلك.. أمريكا وحدها تسجل ٣٢٠٠٠ حالة انتحار كل عام!!..

● عدد المرضى بالقمار الإجبارى (أى إدمان القمار) واحد من كل سبعة من المراهقين..

هذه هى أمـــريكا من الداخل!!.. هذا هو مجتمع أمريكا المهلهل الذى نخشاه!!..

أخى وحبيبى ورفيقى فى طريق الله :

أتشك فى نصر على قوم كهؤلاء؟

أتشك فى نصر على جيش غالبيته من الزناة والشواذ؟

أتشك فى نصر على جيش أشرب فى قلبه حب الخمور والمنكرات؟

أخي وحبيبي ورفيقي في طريق الله :

﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [ال عمران : ١٩٦، ١٩٧].

﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ ﴾ [الأنفال : ٥٩]

الحقيقة الثامنة

النصر لا يأتى إلا بعد أشد لحظات المجاهدة

أخى يا من تظن أن النصر قد تأخر:

أعلم أن النصر لا يأتى إلا بعد أشد لحظات المجاهدة.. ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠] .. فى هذه اللحظة التى ظن فيها الجميع - الرسول وقومه - أن الأمر قد وصل إلى نهايته فى التكذيب والظلم والإعراض

والشك، فى هذه اللحظة التى وصل فيها الأذى للدعاة إلى مداه، وقد ثبت الدعاة على مبادئهم.. هنا فى هذه اللحظة فقط ﴿ **جَاءَهُمْ نَصْرُنَا** ﴾..

اسمع أيضًا إلى قوله تعالى: ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ** ﴾ [البقرة: ٢١٤].. فى هذه اللحظة التى بلغ فيها السيل الربا، والصبر إلى نهايته، فى هذه اللحظة المجيدة يقول سبحانه: ﴿ **أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** ﴾ [البقرة: ٢١٤]..

ألم تلاحظ فى السيرة النبوية أن أشد لحظات الابتلاء للمؤمنين كانت فى غزوة الأحزاب، حيث وصفها ربنا فى كتابه فقال: ﴿ وَإِذْ زَاغَت الأَبْصَارُ وبلغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ باللَّه الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١].. ألم تلحظ أنه بعد غزوة الأحزاب كان المسلمون فى فتح يتلوه فتح؟.. بعد أشد لحظات المجاهدة، جاءت الحديبية، ثم مكة، ثم الطائف، ثم جزيرة العرب بكاملها.. أمجاد تعقبها أمجاد، وأيام نصر وفرح وتمكين..

الحقيقة التاسعة

الله لا يعجل بعجلة عباده

أخي يا من تظن أن النصر قد تأخر:

اعلم أن الأدب مع الله يقتضي عدم استعجاله، وأن حكمة الله البالغة اقتضت أن يختبر أحبابه وأصفياءه، وأن النصر يأتي في وقت يعلم الله فيه أن خير المؤمنين أصبح في النصر، وليس في انتظار النصر..

يروى البخاري عن خباب بن الأرت رضى الله عنه أنه قال: « شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو

متوسد بردة له فى ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟.. ألم شديد، وإيذاء عظيم.. جلد وحرق وخنق وشنق.. قال رسول الله ﷺ: «**لقد كان الرجل فى من قبلكم، يحفر له فى الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر** (أى ليتمن الله هذا الأمر) **حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**».

سبحان الله.. تستعجلون؟!! بعد كل هذا التعذيب فى مكة كان خباب بن الأرت يستعجل؟!

نعم.. ما زال هناك أشياء أخرى..

مازال هناك ترك للمال، وترك للأهل، وترك للديار..

مازال هناك صراع ونزال..

مازال هناك جهاد وشهادة..

ثم.... يأتى النصر!!

فى الميعاد الذى حدده الخالق.. لا فى الميعاد الذى حدده المخلوق!!

الحقيقة العاشرة

الأجر لا يرتبط بالنصر ولكن بالعمل

أخي يا من تظن أن النصر قد تأخر:

أعلم أن الأجر غير مرتبط بالنصر، ولكن بالعمل.. ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: ٩٧]..

واعلم أنه كلما حسن عملك، عظم أجرك..

وكلما زاد جهدك، كمل ثوابك..

وأنك إن لم تر النصر بعينيك، فسيراه أبناؤك وأحبابك..

واعلم أن الأجر يضيع إذا فقدت اليقين فى النصر..

وأن النصر لا يأتى إلا بيقين فيه.. يقين لا يساوره شك.. ولا تخالطه ريبة.. ﴿ **مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ** ﴾ [الحج: ١٥].

أرأيت صحابة رسول الله ﷺ كيف كانوا فى الأحزاب لا يأمنون على شيء؟ كيف كانوا

محاصرين ومهددين.. ثم هم يستمعون إلى بشرى رسول الله ﷺ بأمور تفوق الخيال، فإذا هم مصدقون، وبالبشرى موقنون.. انظروا كيف يحكى البراء رضى الله عنه أن الرسول ﷺ كان يضرب الحجر ويقول: **«بسم الله، ثم ضرب ضربة وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إنى لأنظر قصوره الحمراء الساعة، ثم ضرب الثانية فقطع آخر، فقال: الله أكبر أعطيت فارس، والله إنى لأبصر قصر المدائن الآن، ثم ضرب الثالثة فقال: بسم الله، فقطع بقية الحجر، فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى»**.. والصحابة فى هذا الحصار

يستمعون إلى بشرى فتح الشام وفارس واليمن،
فيصدقون عن يقين، وكأنهم يرونه رأى العين مع
رسول الله ﷺ.

ولهذا جاء النصر!!

أيها المؤمنون ! !

أنتم الأعلون

إخوانى وأحبابى :

أحـمل لكم آية عـجـيبـة، وكل آيات الله عجيبة . . آية هى كنز من كنوز المنان، وعطية من عطايا الرحمن :

﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْـزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٩] .

أتعلمـون أيهـا المسلمـون : متى نزلت هذه الآية؟

لقد نزلت بعد غزوة أحد!!.. بعد الهزيمة!!

وذلك ليعلِّم الله المؤمنين أن العزة والعلو لا يتأثران بهزيمة مرحلية، ولا يرتبطان بنصر مرئى، ولا يعتمدان على تمكين مشاهد.. وليعلم الله المؤمنين أن الأيام دول، وأن للتاريخ دورات، فلهذا دورة، ولهذا دورة، أما الدورة الأخيرة فللمؤمنين إن شاء الله..

أيها المؤمنون.. «عباد الله»:

■ أنتم الأعلون لأن إلهكم الله الذى لا إله إلا هو سبحانه، ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا** ﴾ [فاطر: ٤٤]..

■ أنتم الأعلون لأنكم أتباع النبى الخاتم محمد ﷺ، خير الخلق، وسيد الرسل، والماحى الذى يمحو الله به الكفر، والحاشر الذى يحشر الناس على قدمه، والعاقب الذى ليس بعده نبى.. ﷺ.

■ أنتم الأعلون لأن كتابكم القرآن فيه نبأ من قبلكم، ونبأ ما يأتى بعدكم، وحكم ما بينكم، من خالفه من الجبابرة قسمه الله عز وجل، ومن ابتغى العلم فى غيره أضله الله عز وجل، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، وشفاؤه النافع.. عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستقيم، ولا تنقضى عجائبه

ولا يخلقه كثرة الترديد..

■ أنتم الأعلون لأن شريعتكم الإسلام، دين ودنيا، جسد وروح، عقل وقلب، ما ترك الله في شريعته من شيء إلا وضحه وبينه: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣]..

■ أنتم الأعلون لأنكم الأكمل أخلاقاً.. «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»..

■ أنتم الأعلون لأنكم الأقوى رابطة ﴿ **لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [الأنفال: ٦٣].

■ أنتم الأعلون لأن الملائكة تثبتكم.. ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الانفال: ١٢].

■ أنتم الأعلون لأن الطمأنينة في قلوبكم ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ١٠].

■ أنتم الأعلون لأن الجنة موعدكم.. ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ

سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٩ - ١١١] .

أنتم أيها المؤمنون الصابرون - إن شاء الله - الفائزون .

وختاماً

أخي وحبيبي ورفيقي في طريق الله :

يا مسلم.. يا عبدالله..

يا من سيناديك الحجر والشجر بلسان الحال أو بلسان المقال – بكليهما نؤمن ونصدق –: يا مسلم يا عبدالله..

جفف دمعك، واجبر كسرك، وارفع رأسك..

وأعلم أن الأيام القادمة لك لا عليك..

وأن المستقبل لدينك لا لدين غيرك..

وأن العاقبة للمتقين..

وأعلم أيضا أن مع الصبر نصراً..

وأن مع العسر يسراً..

وأن أنوار الفجر لا تأتى إلا بعد أحلك ساعات الليل..

وأن الله ناصرك ما دمت ناصره..

ومعك ما دمت معه..

وهاديك إلى سبيله، ما دمت مجاهداً فى سبيله..

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٤]

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم..

وجزاكم الله خيراً كثيراً.



الفهرست

الموضوع **الصفحة**

دار الطباعة والنشر الإسلامية

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس: ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة: مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت: ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس: ٤٠١٧٠٥٣